القيم في الفكر الإسلامي وطريقة تعليمها للتلاميذ

أ.م.د. كريم نجم خضر(*)

م.د. علاء صاحب الحمزاوي(**)

الفصل الأول

أهمية البحث والحاجة إليه

ان موضوع القيم وعلاقاتها بالتربية والفرد والمجتمع من الموضوعات التي اهتم بها الفلاسفة وحضيت بعناية كبيرة من قبل الباحثين قديما وحديثا. وقد اختلفت حولها الآراء وتعددت المفاهيم الإنسانية بتحديد معانيها استنادا إلى المصادر المعرفية المتعددة التي اعتمدها الإنسان. وتنوع المنطلقات الفكرية والفلسفية التي آمن بها عبر مراحل تطوره الحضاري.

ان هذا التنوع أدى إلى تباين آراء المفكرين والفلاسفة واختلفوا في تحديد طبيعة القيم ومكوناتها وانه من الصعب ان يتفق الباحثون على مدلول محدد شامل للقيمة، ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف الفلسفات الوضعية، والأطر النظرية التي احتوت هذا المفهوم. ومن المعروف ان لكل مجتمع معتقداته الدينية وأيدلوجيته الاجتماعية والسياسية، فان التمايز في التركيب الاجتماعي أدى إلى تمايز في القيم لدى المجتمعات في الأزمنة والأمكنة المختلفة وعليه فان القيم تترك بصمات

(*) كلية التربية/ جامعة كركوك.

(**) مدرس/ معهد إعداد المعلمات ـ المديرية العامة لتربية كركوك.

واضحة على مجموع السلوكيات السائدة في المجتمع ونتيجة لذلك كانت المجتمعات حريصة على حفظ منظوماتها القيمية وتوريثها من جيل إلى جيل بما يتفق مع العقيدة التي يؤمن بها في بناء النشئ الجديد.

وقد اعتنى المسلمون الأوائل من المفكرين والفلاسفة بدراسة، فبذلوا جهدهم في الحديث عنها حتى أصبحت علما مستقلا بذاته، ومن فقهاء المسلمين الذين اغنوا مقومات القيم الإمام البخاري الذي عنون بابا في صحيحه باسم كتاب "الدعوات"، واخر باسم "الآداب". والأمام البيهقي الذي صنف كتابا مستقلا في القيم يطلق عليه "شعب الأيمان" وتبعه ابن مسكويه بتأليف كتابه المشهور "تهذيب الأخلاق" وابدع الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" الدي في بيان مفهوم القيم في الإسلام.

كما اهتم الباحثون والمفكرون حديثا بدراسة القيم وكانت محل اهتمام واعتناء الكثير منهم.

ان القيم الإسلامية هي جوهر العملية التربوية في كل عصر وزمان، فهي تهتم بالإنسان من جميع جوانبه، فالتربية تسعى باستمرار ضمن عملية ديناميكية ودؤبة إلى تحقيق محور من محاور تربية الإنسان فهي تشكل المنطلق والموجه والضابط لسلوكه والمرجعية لتصرفاته.

وقد جاءت هذه الدراسة لالقاء المزيد من الإيضاح على مفهوم القيم الإسلامية واثارها الواسعة على حياة الإنسان المسلم المعاصر الذي يعيش في أجواء ملبدة من التناقض والتخبط في قيمه الإنسانية، فالمجتمع العربي والإسلامي يمر بفترة حرجة من حياته تتسم باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على قيم العقيدة الإسلامية بسبب ظهور التيارات والدعوات التي تنادي صراحة أو ضمنا بالخروج على هذه القيم.

وتأسيسا على ما تقدم تقف المؤسسات التربوية والتعليمية والأجهزة الساندة لها في مقدمة الوسائل التي يمكن ان تستخدم في بناء وتنمية وغرس القيم الإسلامية لدى الإنسان المسلم وتحصين المجتمع من التيارات الفكرية الغازية والثقافة الهلامية التي يفرزها النظام العالمي الجديد.

ان لدراسة القيم دراسة منهجية منظمة بعدا تربويا من حيث ترجمة المضامين الفكرية إلى مناهج وأساليب ووسائل تمكن المجتمع الإسلامي من تحقيق أهدافه وغاياته المنشودة في بناء مجتمع مؤمن بالعدالة والمساوات وحقوق الإنسان.

وان في دراسة وتدريس القيم مجال خصب لاعمال الفكر من اجل تحليل السلوك الإنساني والحكم وفق معايير تتسجم مع نظرة الإسلام وتوجيهاته في كافة مجالات الحياة.

مشكلة البحث

ان المرحلة التي يمر بها مجتمعنا العربي الإسلامي وما يصاحبها من ظروف مستجدة ومتغيرات بشكل متسارع اصبح اللحاق بها شبه مستحيل وان هذه التطورات التي تعرض لها أفراد المجتمع والتي كان من نتائجها اختلال منظومة القيم لديهم وطغيان القيم المادية بدل القيم الروحية وإخلال الموازنة بين القيم الفردية والجماعية وابراز القيم الفردية وهي قيم غريبة تهدد مستقبل الإنسان العربي والمجتمع بسبب إهمالها للجانب الروحي والأخلاقي. وفي هذا الصدد يقول العاجز:

"يمر مجتمعنا العربي الإسلامي بفترة حرجة من حياته تتسم باهتزاز القيم، واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين الحنيف"[1].

ويعتقد بعض الباحثين في الأقطار العربية ان التحولات التي حدثت في مجتمعاتهم أدت إلى تغييرات عميقة في البنى الاجتماعية وفي نوعية العلاقات التي تؤلف أنسجة المجتمع المتباينة مما احدث تغيرا في القيم والسلوك والمواقف[2].

والأخطر من هذا كله إذا ما نظرنا إلى الاتجاهات الغالبة المحلية والعالمية، هو انه يمكن القول بان السلوك الإنساني، في أيامنا هذه، يبدو وكأنه يبتعد عن القيم الأصيلة أو يتنكر لها أو ينكرها بكل وعي وبكل سهولة، تفكيرا وممارسة وشعورا وإعلاما وتلفزة معلوماتية ويتمثل هذا الابتعاد في الاتجاه نحو قطبين متناقضين هما الآتي:

الأول: أما التمرد على هذه القيم، والإفلات من الحدود والقواعد والمعايير كلها، في مستوياتها الدنيا على الأقل، وكذلك الفوضى في علاقات الإنسان مع الله، وفي العلاقات العائلية الاجتماعية.

الثاني: واما التعصب لهذه القيم والتمسك بها روتينيا وتقليديا وخطا من دون تنوير أو معرفة كافية أو سعي وراء الحقيقة أو نقد موضوعي.

فكلا القطبان يكسب الجولات، كل من جهته على حساب الحرية، والأخلاق،

---

(١) العاجز، علي فؤاد والعمري، عطية، القيم وطرق تعلمها وتعليمها، بحث مقدم في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، عمان ـ (اربد، ١٩٦٩)ص٣.

(٢) نلصر، اليمن، اتجاهات الشباب الجامعيين نحو التحديث وعلاقاتها بتوافقهم النفسي والاجتماعي، مجلة علم النفس، العدد (٤٠-٤١، القاهرة، ١٩٧٧)، ص١١٠، ص١٢٣.

والشخصية المثقفة الواعية والتنمية الصحيحة المتكاملة[٣].

ان النظام القيمي في إطار الفلسفات الوضعية يتسم بالتغيير وتغيير الوظيفة فهو يتشكل وفقا لواقع الفرد وإمكاناته ومواصفاته، فكثيرا ما يتفكك النظام ويعاد ترتيبه من جديد في ضوء التحولات والتغيرات الاجتماعية والفكرية الجديدة، وما يحدث للنظام الفردي يحدث للنظام القيمي الاجتماعي، باعتبار ان المجتمع امتداد للإنسان الفرد[٤].

ومن هنا يرى الباحثان الحاجة الملحة إلى دراسة منظومات القيم والتي تفرضها متطلبات بناء الفرد والمجتمع بشكل متوازن ومتماسك على ضوء تلك التحولات والأحداث. وهي دراسة ضرورية على مستوى الفرد والمجتمع لان الفرد بحاجة ماسة في تعامله مع بقية أفراد المجتمع والمواقف التي يتعرض لها إلى امتلاك منظومة قيمية أو نظام قيمي ومعايير تعمل بشكل موجهات لسلوكه وطاقاته ودوافع نشاطه.

ان المهمة التي ينبغي القيام بها لعلاج هذه المشكلة تكمن في تصحيح القيم والمفاهيم الخلقية التي اكتسبها الأفراد خلال المرحلة الماضية وتشربوا بها من مصادرها غير الحقيقة والرجوع إلى المنظومة القيمية التي ضمنتها الفلسفة العربية الإسلامية والمتمثلة بالقران الكريم والسنة النبوية الطاهرة.

وهذا ما سيتناوله الباحثان في دراستهما لموضوع القيم في منظور الفلسفة العربية الإسلامية وطرائق تعليمها للتلاميذ.

---

(٣) انطوان ، جوزيف، القيم والغايات التربوية وتفعيلها في عالم متغير بسرعة متزايدة، بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغيير، جامعة اليرموك، عمان، اربد، ١٩٩٩، ص٣.

(٤) الحياري، د. محمود، القيم والتربية في عالم متغير، بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغيير، جامعة اليرموك، عمان، اربد، ١٩٩٩، ص١٧.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى توضيح القيم في منظور الفلسفة العربية الإسلامية وطرق تعليمها للتلاميذ ولتحقيق أهداف البحث لابد من الإجابة عن أسئلة البحث التالية:

١. ما معنى القيم لغة؟

٢. ما معنى القيم اصطلاحا؟

٣. ما هي مكونات القيم؟

٤. ما هي وظيفة القيم؟

٥. ما تصنيفات القيم؟

٦. ما الطرق والوسائل والأساليب التي يمكن ان يستخدمها المعلم في تعليم القيم للتلاميذ؟

٧. ما واجب التربية في غرس القيم لدى النشئ الجديد؟

منهجية البحث

ان الباحثين سوف يستخدمان في بحثهما الأسلوب التاريخي الوصفي التحليلي كأداة أساسية لتحليل مفهوم القيم والتعريف بطبيعتها ومكوناتها ووظائفها وتصنيفها وطرق غرسها في نفوس النشئ الجديد من منظور إسلامي وذلك من خلال الرجوع إلى:

١. القران الكريم وتقصي الألفاظ المشتقة من كلمة "قوم".

٢. المعجم المفهرس لمعاني وكلمات القران الكريم.

٣. السنة النبوية المطهرة.

٤. بالإضافة إلى المراجع والمصادر ذات العلاقة بالبحث الحالي.

تحديد المصطلحات

- القيمة الإسلامية: ويقصد بها مجموعة من المعايير والقواعد والمبادئ والمثل ذات صيغة انفعالية وتعمل كموجهات لسلوك الإنسان المسلم ومرجعياتهم، ومن خلالها يقيم الحكم على الأفكار والأشياء ومظاهر السلوك الشخصي ومستمدة من القران الكريم والسنة المطهرة.
- الطريقة : لغة: هي السبيل وطريقة الرجل مذهبة[٥].

اصطلاحا: هي الإجراءات التي يتبعها المربي لمساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف وقد تكون تلك الإجراءات مناقشاته أو توجيه أسئلة ...الخ[٦].

ويمكن القول بأنها الكيفية التي يتعامل بها المعلمون والمتعلمون مع المحتوى[٧].

(٥) ابن منظور، لسان العرب، المجلد/١٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥)، ص٢٦٦٥.

(٦) اللقاني، احمد حسين، المناهج بين النظرية والتطبيق.

(٧) صالح، عبد الرحمن، المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية.

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول

أولا: معنى القيم لغة

جاء في لسان العرب ان القيمة هي ثمن واحدة القيم واصلة الواو لانه يقوم مقام الشيء وقيمة الشيء بالتقويم. تقول تقاوموه فيما بينهم، إذا إنقاذ الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه. ويقال كم قامت ناقتك أي كم بلغت[٨].

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون، ان القيمة تدل مجازا على ما اتفق عليه أهل السوق وقدروه وروجوه في معاملاتهم بكونه عوضا للبيع[٩].

والثمن هو ما اتفق عليه العاقدان في البيع ويكون مساويا للقيمة أو زائدا عليها، أو ناقصا عنها [١٠] هذا في المجال الاقتصادي. أما في المجال السلوكي، يقول الزبيدي، ان القيمة تدل أصلا على اسم النوع من الفعل (قام) بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، واستوى. ومن العبارات الشائعة قولهم (ماله قيمة) إذا كان لا يدوم ولا يثبت على شئ، ومنها وصف الإنسان قول شئ قول عمل أو الدين بكونه قيما[١١].

---

(٨) ابن منظور، لسان العرب، المجلد/١٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥)، ص٥٠٠.

(٩) التهاوني، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج١، خياط، (بيروت ١٩٩٦)، ص١٧٨.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، المجلد التاسع، دار الاصدار (بيروت، ١٩٦٦)، ص٣٥.

ثانيا: القيمة اصطلاحا

تستخدم القيم اصطلاحا للدلالة على اكثر من معنى وذلك ضمن التعريفات التالية:

القيمة: ان القيمة وجمعها (قيم) هي القواعد والسلوك التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستمدوا آمالهم ويوجهوا تصرفاتهم[١٢].

القيم: هي معايير أو مقاييس تستمر خلال الزمن، وتمدنا بمعايير يستخدمها الناس لتنظيم وترتيب رغباتهم المتنوعة[١٣]..

ثالثا: مكونات القيم

ان الرأي الأكثر شيوعا بالنسبة لمكونات القيم في أنها تتكون من ثلاثة مستويات رئيسية هي:

١. **المكون المعرفي:** ومعياره "الاختيار"، أي انتقاء القيمة من إبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها، وهذا يعني ان الانعكاس اللاإرادي لا يشكل اختيارا يرتبط بالقيم ويعتبر الاختيار المستوى الأول في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من ثلاث درجات أو خطوات هي كالآتي:

---

(١٢) خوري، توما جورج، المناهج التربوية مرتكزاتها وتطبيقاتها، ط١، لبنان، (بيروت، ١٩٨٣)، ص٥١.

(١٣) بيومي، محمد احمد، مبحث القيم في علوم الانسان، دار المعرفة الجامعية، مصر، (الإسكندرية ١٩٨٠).

أ. استكشاف الإبدال الممكنة.

ب. النظر في عواقب كل بديل.

ج. ثم الاختيار الحر.

٢. **المكون الوجداني:** ومعياره "التقدير" الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملا ويعتبر التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما:

أ. الشعور بالسعادة لاختيار القيمة.

ب. إعلان التمسك بالقيمة على الملا.

٣. **المكون السلوكي:** ومعياره "الممارسة والعمل" إهمالها "الفعل" ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة المنتقاة، على ان تكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك.

وتعتبر الممارسة المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، وتتكون من خطوتين هما كأداة:

أ. ترجمة القيم إلى ممارسة.

ب. بناء نمط قيمي.

رابعا: وظائف القيم

ان دراسة القيم والتعامل معها ضرورة فردية واجتماعية إذ ان وجودها مرتبط بوجود الإنسان والمجتمع، فعلى المستوى الفردي نجد ان المرء في حاجة ماسة في تعامله مع الأشخاص والمواقف والأساليب إلى منظومة قيمية إهمالها نظام

للمعايير، والقيم تعمل بمثابة موجهات لسلوكه وطاقاته ودوافع نشاطه، ومن البديهي انه إذا غابت هذه القيم أو تضاربت فان الإنسان يغترب[١٤] عن إرادته ومجتمعه ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه ويضطرب سلوكه فالقيم اذن تحقق للفرد ما يلي:

١. إعطاء الفرد إمكانية أداء واجباته المنوطة به حسب دوره ومكانه.
٢. ان معرفة القيم سبيل الفرد إلى التوافق مع الجماعة والاندماج بها.
٣. ان للقيم دور بالغ الأثر في مساعدة الفرد على الانسجام مع نفسه.
٤. ان معرفة الفرد لمضمون النسق القيمي السائد يساعده على فهم العالم من حوله.
٥. تمد القيم الفرد بحوافز ودوافع لإصلاح ذاته وتقويم اعوجاجه.
٦. ان للقيم دور رئيسي في تشكيل الخلق القويم لدى الفرد.
٧. في القيم معيار اجتماعي وعقائدي يقيس عليه الفرد كل سلوكياته.
٨. ان للقيم اثر كبير يمكن الفرد من كبح جماح النفس البشرية وضبط شهواتها.
٩. ان للقيم دور بارز في إبراز العقل وتثقيفه ليحتل مركز القيادة لسلوك الفرد.

أما على المستوى الجماعي فان أي تنظيم اجتماعي في حاجة إلى نسق للقيم يشابه تلك المضامين القيمية الموجودة للأفراد من مثل[١٥].

١. وضوح أنها المجتمع ووسائل تحقيقها.
٢. إمداد الجماعة بضوابط السلوك الجماعي وضبط المخالفين.
٣. مساعدة المجتمع على الاتساق والانسجام وبالتالي تحقيق أهداف.
٤. صيانة المجتمع من الانزلاق نحو الأنانية الفردية وطغيان الفرد على الجماعة.

---

(١٤) أبو العنين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنور، (السعودية، ١٩٨٨)، ص١٢١-١٢٢.

(١٥) زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، معالم تربوية، مؤسسة الخليج العربي، (القاهرة، ١٩٨٤)، ص٨،٩،١٠.

٥. إمداد المجتمع بأسباب القوة والمنعة من خلال تحصينه وسد الثغرات التي تطفو على السطح.

٦. تعمل القيم على ترسيخ وتسهيل التواصل مع العالم الخارجي والمجتمعات الأخرى بما ينسجم مع قيم ذلك المجتمع.

٧. حفظ المجتمع من التفكك والانهيار الذي ينجم عن تصارع القيم وتضاربها.

خامسا: تصنيف القيم

الحقيقة ان القيم متضمنة ومتداخلة ومن الصعب تصنيفها بدقة، وقد ظهرت كتابات كثيرة تحاول ان تصنف القيم إلى مستويات إهمالها أنواع مختلفة منها ما تصنف القيم إلى مستويات ثلاثة هي كأداة:

١. مستوى يمثل القيم الإلزامية.

٢. مستوى يمثل القيم التفضيلية.

٣. مستوى يمثل القيم المثالية.

وهناك تصنيف آخر للقيم يميز بين أنواع مختلفة من القيم:

- القيم الاجتماعية.
- القيم الجمالية.
- القيم العقلية.
- القيم الأخلاقية.
- القيم الدينية.

يضاف إلى ما ذكر أعلاه فقد صنف العالم الألماني "سبرنجر" في كتابه "أنماط الناس" حيث صنف الأشخاص إلى ستة أنماط استنادا إلى غلبة واحدة من القيم التالية عليهم حسب محتواها أو حسب ما تعكس من نشاطات إنسانية وهي كأداة:

١. **القيمة النظرية:** وهي التي تتضمن اهتماما عميقا باكتشاف الحقيقة أو سيادة الاتجاهات المعرفية وهي سمة تجسد نمط العالم إهمالها الفيلسوف.
٢. **القيمة الاقتصادية:** وهي التي تتضمن غلبة الاهتمامات العملية والمنفعية والجوانب المعرفية في الحياة وهي قيمة يتصف بها عادة رجال الأعمال والمال.
٣. **القيمة الجمالية:** وهي التي تتضمن الحكم على الخبرات من منظور الجمال والتناسق والمواءمة وهي قيمة يتصف بها الفنانون.
٤. **القيمة الاجتماعية:** وهي التي تتضمن محبة الناس كغاية وليس وسيلة لمآرب أخرى تشكل نمط الشخص الاجتماعي.
٥. **القيمة الدينية:** وهي التي تتضمن اهتماما كبيرا بالشؤون الدينية والسعي نحوها وهي وصفة لرجال الدين والمتدينين من الناس.
٦. **القيمة السياسية:** وهي التي تملي توجها حيال العلاقات الاجتماعية ليس بدافع الحب ولكن بدافع السيطرة والرغبة في القوة وهي قيمة تظهر لدى رجال الحرب والسياسة والقادة في المجالات المختلفة.

سادسا: عناصر القيم

ان تعلم الفرد للقيم واكتسابها والتشرب بها يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ولكي تتشكل القيم لدى الفرد ينبغي ان تتوفر ثلاثة شروط أو ثلاث عناصر هي:[١٦]

١. **المظهر الادراكي للوعي:** وهو يتمثل في إدراك الفرد لموضوع القيمة عن طريق التعرف عليها وفهم معناها أو إصدار حكما بشأنها، إلى قبولها أو رفضها.

(١٦) احمد، لطفي بركات، القيم والتربية، دار المريخ، (الرياض، ١٩٨٣)، ص٢٣

٢. **المظهر الانفعالي:** وهو يتمثل في الشعور العاطفي لدى الفرد ويتضح هذا الشعور عن طريق ميل الفرد إلى موضوع القيمة واهتمامه بها، حيث تصبح فيما بعد جزء من كيانه.

٣. **المظهر النزوعي للوعي:** ويظهر هذا المظهر في المجهود الحركي الظاهري، الذي يبذله الفرد لبلوغ هدف معين بمعنى ترجمة الفرد للقيمة عن طريق إدراكها سلوكيا. اذن لابد ان تكون هذه العناصر مع بعضها البعض دون نقص في أحد هذه العناصر.

سابعا: نسبية القيم

هناك ثمة اتجاهات فيما يتعلق بنسبية القيم، هل هي نسبية مطلقة أو نسبية غير مطلقة. وعليه يمكن القول بان هناك ثمة اتجاهات مختلفة إزاء نسبيتها وهي كأداة:

١. اتجاه يقول بالإنسان نسبية مطلقة، ومن أنصار هذا الاتجاه "جون ديوي" وروت فيدكت" فيرى الفيلسوف ديوي بان القيم كليه اجتماعية ثقافية، أي أنسجة نسبية مكانية، فكل ثقافة لها معاييرها الخاصة بها وبالتالي فإنها تختلف من ثقافة إلى أخرى. فما تراه ثقافة ذات قيمة، وما يراه المجتمع صوابا، يراه غيره خطأ.

٢. اتجاه آخر يرى ان القيم نسبية غير مطلقة، ومن أنصار هذا الاتجاه "براملد" حيث يرى ان هناك قيما عالمية مشتركة بين الثقافات الإنسانية، مثل كلية الوجود، والجنس البشري نفسه[١٧].

(١٧) ذياب، فوزية، القيم والعاداة الاجتماعية، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٣٠.

المبحث الثاني

القيم في منظور الفلسفات الوضعية

لقد بذل الفلاسفة جهودا عالية للوصول إلى قيم الأشياء التي تصل بالإنسان ويقوم بها. وقد أدلى كل فيلسوف بدلوه عن القيم وحسب فهمه ونظرته للحياة وللوجود وللحقائق الأخرى ولذلك تعددت واختلفت المدارس الفلسفية في رؤيتها للقيم(١٨).

ولأهمية هذا الموضوع نستعرض وجهات نظر الفلسفات الوضعية لموضوع القيم وهي:

نظرة الفلسفة المثالية للقيم

تمتد جذور الفلسفة المثالية في نظرتها للكون والحياة إلى الفلسفة اليونانية وبخاصة الفيلسوف افلاطون، اما حديثا فتقترن باسم الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت (Kant) وترى الفلسفة المثالية ان القيم أمر مطلق، فقيم الخير والحق والجمال لا تختلف عن ذواتها بمرور الزمن، كما أنها لا تختلف مع مرور الأجيال والمجتمعات وذلك لكونها ليست من صنع الإنسان، وانما هي جزء من العالم المثالي. فالمهم في نظرة الفلسفة المثالية أنها رأت ان القيم معطاة ولكن ليس للحس دور(١٩).

(١٨) حسان، محمد حسان واخرون، دراسات في فلسفة التربية ط٢، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص٢١٧.

(١٩) الحياري، حسن احمد، أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية، ط١، دار الأمل، (الأردن، ١٩٩٤)، ص٢٩٤.

ونظرة المثالية للقيم تقوم أصلا عن الاعتقاد بوجود عالمين أحدهما مادي والآخر معنوي "سماوي" وان الإنسان الكامل يستمد قيمة من عالم السماء وهي قيم مطلقة كاملة وتتمثل في الحق والخير والجمال[٢٠]. فقيمة الحق تتعلق بكل ما هو معرفة وقيمة الخير بكل ما هو سلوكي اما قيمة الجمال فتختص بكل ما هو وجداني.

ان هذه القيم الثلاث كامنة في طبيعتها وهي ثابتة ولا تتغير بتغير الظروف وملابساتها وكائنة في العالم الخارجي أي أنها سابقة على الوجود المحسوس وكائنة في عالم المثل فنظرية القيم عند المثاليين منذ افلاطون حتى المثالية الحديثة عند "كانت" واتباعه تقوم على أساس ان القيم أزلية ثابتة مطلقة وهي لهذا ليست من صنع البشر بل هي جزء من نسيج الكون ودور الإنسان يتمثل في حمل هذه القيم وعلى عاتقه تتحقق الغائية الإلهية على الأرض فهو همزة الوصل بين الأحداث الواقعة والقيم.

نظرة الفلسفة الواقعية للقيم

ترى الفلسفة الواقعية ان القيم حقيقية موجودة في عالمنا المادي وليست خيالا أو تصورا، وان كل شئ فيه قيمته، وان الإنسان يستطيع ان يكتشف القيم باستخدام الأسلوب العلمي والخطوات العلمية مما يعني ضرورة استخدام العقل[٢١].

ويرى الواقعيون ان العمل الخلقي يتكون من الحقائق المكتشفة منذ القدم للسلوك الإنساني، والتي وصلت إلينا عن طريق التراث والثقافة وبالتالي فان

(٢٠) محمد علي، واخرون، المجتمع والثقافة الشخصية، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية،١٩٧٧)،ص٢٩.

(٢١) زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مصدر سابق ص١٢.

القانون الأخلاقي هو القانون الطبيعي، ويستدل على القيم عن طريق الحواس، وعن طريق التجربة لأنها صادرة عن الواقع المحسوس، وانها وسائل متغيرة، وغير ثابتة ونسبية ويمكن قياسها عن طريق وسائل علمية وبحثية، شانها شان أي موضوع قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية وعليه تصبح القيم فعل اجتماعي له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العلمية عندما يتعامل مع الواقع ومعطياته.

واستنادا إلى ما ذكر آنفا فقد نظرت الفلسفة الواقعية للقيم على أساس أنسجة حقيقية موجودة في العالم المادي وليست من نسيج الخيال أو التصورات وان لكل شئ فيه قيمته وان الإنسان يستطيع ان يحدد القيم باستخدام الأسلوب العلمي والخطوات العلمية أي عن طريق العقل.

فالقيم عندهم مطلقة ولكن يمكن الحصول عليها وتقديرها من خلال المشاهدة أيضا.

ويرى أقطاب الفلسفة الواقعية ان كل القيم بالنتيجة هي قيم اجتماعية توفر للانسان سعادة ولذة ومنفعة فتحفزه وتدفعه للعمل وان السعادة تكمن في الشعور باللذة والحصول على المنفعة، فالسعادة عندهم هي الخير المرغوب فيه لذاته دون الاهتمام بنتائجه وأثاره عليه فان معيار الأخلاق عندهم هو حب الذات وما يحتمل ان يصيب صاحب السلوك أو التصرف شكل من أشكال النفع أو الضرر[٢٢].

نظرة الفلسفة البرجماتية للقيم

ترى الفلسفة البرجماتية ان القيم أساس الأخلاق وانها ترتكز على حقائق ثابتة والقيم الصالحة التي تساعد الفرد على تكوين علاقة فعالة مع العالم ومع رفاقه

(٢٢) زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مصدر سابق، ص١٤.

والقيم في تغيير مستمر ولذلك فقيم عهد سابق لن تصلح لعهد حالي. وان قيم الفرد ليست نهائية ومحددة سلفا كإطار من الغايات والقيم وانما هي متضمنة في الخبرة ذاتها وتأتي نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة ويكون بعضها مؤقتا والبعض الآخر مسائل لغايات أخرى وفقا لحركة الخبرة وقدمها.

فأقطاب الفلسفة البرجماتية لا يؤمنون بالقيم مثل الحق والخير والجمال حيث يعتقدون أنها من صنع الإنسان فالحق برأي "جون ديوي" يصنع كالصحة والغنى والقوة في سياق الخير ومقابل ذلك يتنكرون للمعيار الثابت للسلوك، فيرون انه لا يوجد هناك شئ حقيقي أو خير إلى الأبد وانه في عالم متغير فالنظام القديم بتغير تاركا مكانه للجديد وما كان خيرا بالأمس قد لا يكون كذلك اليوم[٢٣] وعليه فالفلسفة البرجماتية لا تؤمن بوجود قوانين أخلاقية مطلقة يفرضها واقع غير طبيعي كما هو الحال في الفلسفة المثالية لكنهم يختلفون عن المثالية حول قيم (الحق والخير والجمال) في عدم إيمانهم بها دوما وان التغير هو قانون الطبيعة. ولذلك قررت الفلسفة البرجماتية انه ليس هناك قيم مطلقة وان القيم التي تؤمن بها تتغير بتغير الزمان والمكان وان الإنسان هو الذي يخلق قيمه الخاصة وهو الذي يخلق الجمال من خلال التجربة، وان المعيار الوحيد هو القيم الاداتية[٢٤].

وان القيم عندهم ذاتية وليست موضوعية أي أنها تعود لذات الشخص الذي يقيم الشيء أو المواقف، فالشجرة الجميلة مثلا لم تكن جميلة لا لان الشخص رآها كذلك فالقيمة عندهم كالحقيقة تتبع من الموقف والخبرة وهي مرنة ونسبية ومتغيرة

(٢٣) فرحان، محمد جلوب، دراسات في فلسفة التربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص١١٦.

(٢٤) حمودة، نبيه محمد، التأهيل الفلسفي للتربية، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة، ١٩٨٠)، ص١٣.

حسب الموقف فالصدق مثلا قيمة مهمة ولكن باستخدام الكذب قد ينجو الإنسان من أيدي الأعداء وينجو وطنه ومجتمعه.

ومن هنا تأتي نسبية القيمة والأحداث خاصة الا ان البرجماتيين يرون في الوقت نفسه ان هناك قيما سامية وصحيحة توصل إليها الإنسان منذ اقدم العصور واتفق على صحتها كالأمانة والصدق والتضحية والوفاء والإخلاص[٢٥].

نظرة الفلسفة الوجودية للقيم

ان أقطاب الفلسفة الوجودية يرفضون جميع القيم المفروضة على الفرد من قبل المجتمع أو من مسلمات العلوم والأديان لان في ذلك تعطيلا لاهم ما يميز الإنسان وهو حريته في الاختيار، فالفرد يعد المسؤول عن بناء سلم أولويات القيم لذاته والتعامل معها بدر منفعة له وللآخرين.

لذا فان جعبة أخلاقيات الإنسان الوجودي تخلو من (افعل هذا ولا تفعل ذلك) وبدلا منها توجد (أريد هذا) (وانا افضل ذلك)[٢٦].

نظرة الفلسفة الماركسية للقيم

ان مفهوم القيم في الفلسفة الماركسية مرتبط بالأساس الاقتصادي وهو الموقف الصريح لها من القيم. فالقيم وبخاصة الخلقية منها، تنشأ بمولد المجتمع

(٢٥) زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مصدر سابق، ص١٤.

(٢٦) الحياري، حسن احمد، ماهية القيم وأنواعها إسلاميا، بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، عمان (اربد، ١٩٩٩)، ص٥٤.

الإنساني، وعندئذ يفرض المجتمع على أفراده مطالبا محددة معبرا عنها في المستويات والمقاييس الخلقية وهي موضوعات غير ثابتة، متغيرة تتحول بتطور المجتمع بسبب تغيير الإنتاج وبخاصة علاقات الإنتاج. وان قيم التغير هي مبدأ الحياة، فكل ما في الوجود يتغير ويتطور وترتكز هذه القيم على المادية والصراع الطبقي والإنتاج[٢٧].

الفصل الثالث

القيم في منظور الفلسفة الإسلامية

مفهوم القيم في الإسلام

لقد كان الإسلام ثورة فكرية وأخلاقية وقيمية، لانه قرر الحقائق الفكرية، واقر تعاليم تلك الثورة التي تمتاز بتجددها واستمرارها ومن علامات ذلك تبنيها لقيم إنسانية تضع الإنسان في أسمى منزلة على الأرض.

وهناك اتفاقا وثيقا بين الدين والقيم من حيث تأثيره على نسق القيم والدين هو مصدر القيم الروحية والخلقية وهو الأساس في توجيه سلوك الإنسان، وفي التمييز بن الخير والشر والخطأ والصواب[٢٨].

(٢٧) احمد، لطفي بركات، في فلسفة التربية، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٨)، ص٣٢.

(٢٨) علاوي، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي، رسالة ماجستير منشورة، دار الفرقان، (عمان، ١٩٨٤)، ص٨.

ويعد القران الكريم والسنة النبوية الطاهرة المصدران الأساسيان لمنظومة القيم والفضائل التي جاء بها الإسلام وهما الأساس الذي قامت عليه المنظومة القيمية الإسلامية بما تضمنته من قيم ومبادئ وفضائل ومثل سامية وهذه القيم إلهية المصدر وبالتالي مطلقة وثابتة . فالقيمة في الإسلام مرتبطة بأعلى بنية الهرم في التطور الإسلامي من حيث الأيمان بالله الخالق من جهة وبالمخلوقات من كون وإنسان وحياة من جهة أخرى التي خلقها الله تعالى خلقا هادفا لتؤدي رسالتها في الحياة وفق نواميس وسنن كونية واجتماعية وضعها رب العالمين[٢٩].

فقيمة الأيمان اذن هي القيمة العليا في الإسلام وتشعبت منها قيم عديدة تتعلق بشعب الأيمان المختلفة المتعلقة بالمقاصد والعبادات والمعاملات، ولذلك اختلفت الفلسفة العربية الإسلامية في نظرتها للقيم عن الفلسفات الوضعية لأنها اعتمدت إلى علم العليم الخبير في فهم المسائل الوجودية وما ينتج عنها من قيم الإنسان وتشد انتباهه وتضبط سلوكه، فطالما ان علم الله سبحانه وتعالى مطلق في مضمونه وكامل الثبات في دلالاته فان القيم في ضوء الفلسفة العربية الإسلامية أسست علم عام يقيني ثابت لا يشوبه شك أو ظن مما أدى إلى استقرارها وثباتها على مر الزمان وتقدم العلوم وازدهار الحضارة الإنسانية.

وفي ضوء هذا التصور العام، فان القيم الأساسية من منظور إسلامي، تمتد لتمثيل القيم العلمية المتعلقة بقيم الحق والحقيقة والموضوعية والقيم الأخلاقية المتعلقة بمكارم أخلاق الفرد الاجتماعية والسياسية. وقد أكد الإسلام الجانب الأخلاقي في الأفعال حتى جعله معيارا لها، قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا

(٢٩) الفرحان، اسحق احمد، القيم والتربية في عالم متغيير من منظور إسلامي، بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، عمان (اربد، ١٩٩٩)،ص٤.

وجوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٣٠].

ولذا فان النظام القيمي عند المسلمين هو أحكام شرعية، تحدد السلوك وتكون معيارا لهم وهم يستمدون هذه الأحكام من القران الكريم والسنة النبوية الطاهرة، فالايمان والتقوى، والحكمة والمعرفة، وقيم العمل الصالح في سائر مجالات الحياة المعنوية والمادية، وقيم التعاون الجماعي بين أفراد المجتمع على فعل الخير، وتجنب الشر، وحسن الخلق، والكرم، والأمانة، ونعيم الآخرة، وغيرها من قيم مثلى استمدها المسلمين من مصادر التشريع الإسلامي، وهي إلهية مطلقة وثابتة، لا تتغير ولا تتبدل، بتغير الزمان والمكان لأنها مستمدة من العقيدة الإسلامية السمحاء المتمثلة بالقران الكريم والسنة الشريفة[٣١].

خصائص القيم الإسلامية

تعد الشريعة الإسلامية مصدر أساسي من مصادر القيم بما تحمله من قواعد ومبادئ ومثل وخصائص عامة صالحة لهداية الناس في كل زمان ومكان تتبع فيهما عن قناعة وإيمان صادق ومخلص وذلك عن طريق الخصائص التالية:

---

(٣٠) سورة البقرة، الآية:١٧٧.

(٣١) الفرحان، إسحاق احمد، القيم التربوية في عالم متغير، مصدر سابق، ص٥.

١. **الخلود:** ان خلود الإسلام هو استمرار بقائه ما دامت البشرية تواصل مسيرتها في هذا العالم، كما ان الشريعة الإسلامية تتعامل مع البشر على أساس قيم موضوعية لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل بسبب تبديل الزمان والمكان والظروف كما أنها تتميز بسعة مفاهيمها وامتداد قواعدها وشمولية مبادئها لتغطي كل مجالات الحياة العملية والقيمية للإنسان المسلم.

٢. **المرونة والتوازن:** وتتوضح هذه الخاصية بوضوح تام في كل جزئيات الشريعة الإسلامية التي قامت على أساس تحقيق التناسق والانسجام بين التكليف والتنفيذ. لذا جاءت التكاليف كلها بمستوى قدرات الإنسان وإمكانياته وذلك مصداقا لقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)[٣٢] وقوله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ)[٣٣].

٣. **الإنسانية:** لقد هدفت الشريعة الإسلامية إلى تكريم الإنسان والإنسانية، حيث لا فرق بين غني وفقير، سوي أو معوق، ضعيف أو قوي وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[٣٤].

٤. **الواقعية:** ان من خصائص الشريعة الإسلامية هي الواقعية التي راعت الفطرة والتكوين الإنساني عن طريق الاستجابة للنزعات الفطرية والطبيعية في الإنسان بالحق وفتح أبواب التوبة أمام العاصي لتمكينه من تصحيح سلوكه نحو الأفضل.

---

(٣٢) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٣٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

٥. **الاتساق:** وهو ميزة من مميزات الشريعة الإسلامية أي يجعل من بعضها أساسا وقوة تساعد على تطبيق البعض الآخر بنجاح دون أي تعارض أو تناقض فالايمان بالله والالتزام بقيم الشريعة يساعد على تطبيق قوانين السياسة والاقتصاد والاجتماع وهكذا تتشابك كل المفاهيم والقيم داخل إطار العقيدة لتشكل وحدة تشريعية يساعد بعضها البعض في التطبيق ويهيئ كل جزء منها لإنجاز مهمة الجزء الآخر.

٦. **تنمية الوعي بالدور الحضاري كالآتي:** ويتم ذلك من خلال تحديد مسؤوليات الإنسان في الحياة واستثمار خيراته بالعلم والعمل وتوظيف طاقاته في مجالات الحق والخير والجمال مصداقا لقوله تعالى: (وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[٣٥].

وتأسيساً على ما تقدم يمكن حصر القيم الإسلامية في ضوء تلك الحقائق العامة للشريعة الإسلامية وهذه القيم هي:

١. **قيم الأيمان بالله ووحدانيته:** فله الحق والإرادة النافذة مصداقا لقوله تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [٣٦].

٢. **قيم التكامل بين التكوين والتشريع:** وهذه القيم تعني بان هذه القيم ترتكز على ان الإنسان وحده متكاملة ولذا فهي اعتنت بتنمية وتوجيه وإشباع حاجاته بما يحقق التوازن والتوازي بين الجانب المادي والروحي وذلك مصداقا لقوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من

(٣٥) سورة الأعراف، الآية:٥٦.

(٣٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[٣٧].

٣. **قيم الأيمان بوحدة النوع الإنساني:** ويقصد بها ان الناس جميعا يشتركون في رابطة قوية هي الإنسانية وانهم جميعا متساوون في تكوينهم وفي طبيعتهم كبشر من جنس واحد يعيشون في هذه الدنيا. ولذا فان المنظومة القيمية هذه ترفض وتستهجن كل مظاهر التمييز والتفرقة والعنصرية بين البشر مصداقا لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٣٨].

٤. **قيم تكريم الإنسان:** وهذه القيم تؤكد ان الإنسان هو سيد المخلوقات في هذا الكون وارقاها وافضلها ولقد وهبه الله سبحانه وتعالى النعم الكثيرة مصداقا لقوله تعالى: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)[٣٩].

٥. **قيم الاعتدال:** وهذه القيم تدخل في كل أنماط السلوك الإنساني وعلاقاته الاجتماعية والإنسانية.

٦. **قيم التوبة:** وهي الرجوع عن المعصية والى الطاعة بقصد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وطلب المغفرة.

٧. **قيم الهداية:** وهي التسليم بإرادة الله إرادة الحق والخير والجمال والسير مع طبيعة الوجود البشري وبهذا تكون الهداية موقفا إيجابيا بناءا إذ يحترم الإنسان حدود الله وهي ضد المعصية.

---

(٣٧) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣٨) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣٩) سورة التغابن، الآية: ٣.

٨. **قيم الذكر:** وتعني حضور الشيء بالذهن وذكره بالقلب وباللسان وكل واحد منها ضربان ذكر عن نسيان وذكر عن لانسيان بل عن إدامة حفظ والذاكرون الحافظون هم أولئك الممتلئة نفوسهم بحقيقة وجود الله تعالى الخاشعة لجلاله العاكف على طاعته.

٩. **قيم الصلاة:** وهي تعني الدعاء وطلب الخير والبركات هذا لغة أما اصطلاحا فهي تعني العبادة الإسلامية وهي أول الفرائض الإسلامية الخمس وهي عمود الدين وفي الصلاة محاولة صادقة وهي رياضة روحانية تقرب العبد المسلم من الله سبحانه وتعالى وهي محاولة صادقة لهجر الذنوب والخلاص منها وهي دعوة للوعي واكتشاف الحقيقة الإلهية ومعرفة قدرها قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٤٠).

١٠. **القيم الأخلاقية:** الخلق في الإسلام عقيدة نابعة من الأيمان بالله وطاعته في أوامره ونواهيه وابتغاء رضوانه في سائر مجالات الحياة الإنسانية والخلق الإسلامي فطري يتجاوب مع الفطرة السليمة ويقر كل معروف عند الناس وينكر ما ينكرون من ضرر. وينبغي ان لا تتأثر أخلاق الإنسان المسلم بالأهواء والمصالح والمنافع الذاتية وان القوة الوازعة في الخلق الإسلامي تمثلها خشية الله تعالى وطالب رضوانه. فالإسلام في اتجاهه التربوي والأخلاقي لا يحاول التنكر للغرائز أو قتلها وانما يحاول صقلها وتهذيبها وتوجهها الوجهة المتزنة التي لا إفراط فيها ولا تفريط والإنسان المسلم يصل إلى هدفه هذا عن طريق نظامه العبادي الذي يكون عند الفرد قاعدة التقوى التي فيها ينطلق الإنسان المسلم إلى اتخاذ مواقف أخلاقية صالحة في مختلف المواقف الحياتية الإنسانية

(٤٠) سورة النور، الآية: ٥٦.

فالإسلام هو دين الخلق القويم وهو النبع الصافي لمكارم الأخلاق الفاضلة وخلاصة القول ان هذه القيم الإسلامية التي احتواها القران الكريم والسنة النبوية الطاهرة كان أول من تحلى بها رسولنا الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم، فقد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكان صابرا صادقا حليما عادلا برا أمينا إلى غير ذلك من القيم الخلقية التي زخر بها القران الكريم والسنة النبوية السمحاء.

ولذا فالقيم الإسلامية هي جوهر الأخلاق في الإسلام وان الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الفرد والمجتمع، ولقد اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماما بالغا في تأكيد وترسيخ الأخلاق الكريمة في النفوس، واستئصال الأخلاق الذميمة منها، إلى حد أنها جعلت منها الغاية لبعثة الأنبياء، فقد روي عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قوله: (انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق).

طبيعة القيم في الإسلام

لقد نظر الإسلام إلى القيم نظرة تكاملية، فهو ياخذ بالقيم الموضوعية والمطلقة النابعة من القران الكريم والمنبثقة من الشريعة الإسلامية كالقيم المتعلقة بالتوحيد والتقوى والعمران والسعي لكسب الرزق والحرية والإحسان والكرم والأمانة والحلم والصدق مصداقا لقوله تعالى: (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)(٤١)

وقوله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)(٤٢).

(٤١) سورة فاطر، الآية:٤٣.

(٤٢) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

ويأخذ الإسلام كذلك بالقيم المادية المرتبطة بواقع الحياة والمتسقة مع تراثنا الاجتماعي، وهي تلك التي تنظم علاقة الفرد مع نفسه وذلك من قبيل قيم الطهارة والنظافة والمسؤولة الجسمية وإشباع الدوافع الأولية العقلية من تعلم ونظر وتأمل، وتلك التي تنظم علاقة الفرد مع غيره وذلك من قبيل الاخوة والألفة والتعارف والتضحية وتحمل المسؤولية والولاء للجماعة[٤٣] فالقيم في الإسلام ثابتة ومغلقة، وان ثباتها لا يعني أنها جامدة بل أنها قادرة على ان تتمثل في كل قيمة جديدة تتفق مع ما جاءت به العقيدة الإسلامية من نظام قيمي.

مصادر القيم الإسلامية

للقيم مصادر عديدة وتختلف هذه المصادر من مجتمع لاخر وفي المجتمع العربي الإسلامي تتبع القيم في الإسلام من المصادر التالية:

أولا: الدين الإسلامي متمثلا بالمصادر التالية:

أ. القران الكريم وهو مصدر رباني، موحى به من عند الله سبحانه وتعالى وهو يمثل دستورا أخلاقيا للامة الإسلامية، تشتق قيمها وتنظم به حياتها وعلاقتها مع الله سبحانه وتعالى وعلاقتها مع المجتمعات الإنسانية الأخرى.

ب. السنة النبوية الطاهرة: الشارحة للقران الكريم والمبينة لاحكامه الشرعية.

ج. الإجماع والقياس والأعراف الحسنة وهي ما اتفق عليها العلماء المسلمون حول القيم التي لم يرد نص قراني صريح فيها، واجماعهم على

(٤٣) احمد، لطفي بركات، في الفكر التربوي الإسلامي، دار المريخ، (الرياض، ١٩٨٣)، ص٣٣.

أحكام شرعية معينة ومحددة[٤٤].

ثانيا: عصر ما قبل الإسلام: حيث ان هناك قيما بقيت سائدة في المجتمع الإسلامي ولم ينه عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هذه القيم الإيجابية النخوة، والشجاعة، وإغاثة المظلوم[٤٥].

ثالثا: التراث الإنساني العالمي: عندما امتزجت الشعوب وانصهرت في بوتقة الدين الإسلامي الحنيف حملت هذه الشعوب قيمها وبعض هذه القيم كانت قيم إيجابية نافعة وأخرى سلبية ضارة كالتفكك العائلي وقلة الروابط الاجتماعية.

ان هذا التلاحم والتزاوج بين الفكر العربي الإسلامي والفكر الإنساني كله كان أحد المنابع الذي ساهم في بناء المنظومة القيمية الإسلامية[٤٦].

مكونات القيم الإسلامية

تتكون القيم السلامية من إتحاد ثلاثة عناصر أساسية تتلاحم مع بعضها وهي كالاتي:

١. **المكون العقلي المعرفي:** ويؤكد هذا المكون على أهمية الإدراك وادواته في اتصال الإنسان بمن حوله وما حوله والتعرف على القيمة وإدراك معناها وابعادها.

(٤٤) حسان، محمد حسان، مصدر سابق، ص٢١٧.

(٤٥) عبد الوهاب، هاشم سعيد، دور المعاهد التقنية في مجتمع عربي متغير، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، العدد٥-٦، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص٨٢.

(٤٦) الحمزاوي، علاء صاحب، نحو رؤية للقيم في ضوء القران الكريم والسنة والنبوية الشريفة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، (بغداد، ٢٠٠٢).

٢. **المكون الانفعالي الوجداني:** الذي يقتضي اختيار القيمة وتقديرها والتحمس لها والاعتزاز بها والسعادة لاختيارها وتبنيها في الحياة.

وان الطبيعة الإنسانية مسؤوله عن أعمالها، وبأنها خيرة وتؤمن بالغيب وبالبعث. إذ يمكن للباحث المتعمق ان يستخرج لها أصولا تربوية ويستنبط الكثير من حقائق النفس البشرية ويصل إلى العديد من المبادئ الأساسية في مجالات التعلم والتعليم، ولكل من الصغار والكبار[٤٧].

٣. **المكون السلوكي الادائي:** الذي يقتضي تمثل القيمة سلوكا عمليا في واقع الحياة بحيث توجه صاحبها الوجهة التي تتسق مع ما تتبنى[٤٨] قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)[٤٩].

تصنيف القيم الإسلامية

من الصعب تصنيف القيم الإسلامية بدقة بسبب كونها متضمنة ومتداخلة، وقد اختلف الباحثون في تصنيفها لاختلاف المعايير والمقاييس التي يستخدمها كل منهم لتصنيفه، كما ان القيمة الواحدة يمكن ان تصنف تحت اكثر من نوع، فالقيمة السياسية مثلا قد تكون خلقية، وقد تكون اجتماعية وقد تكون اقتصادية[٥٠]. ولان

(٤٧) جلال، عبدالفتاح، الاصول التربوية في الاسلام، المركز الدولي الوظيفي للكبار في العالم العربي، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص٧.

(٤٨) حجو، عبدالفتاح احمد، النمو الخلقي والتربية الخلقية، جامعة حولية مجلة كلية التربية، العدد ٢٣، (قطر، ١٩٨٠)، ص ١٠٢.

(٤٩) سورة الصف، الآية ٢ - ٣

(٥٠) الحمزاوي، علاء صاحب، مصدر سابق، ص ٢١٤.

كثيرا من القيم الإسلامية تحتاج إلى فهم النصوص الواردة في القران الكريم والسنة النبوية السمحاء. ونظرا لاختلاف القيم عند الناس فقد تباينت وجهات نظر الباحثين في القيم الإسلامية وتم تصنيف القيم تصنيفات متعددة من حيث ثبات بعض القيم وتطويرها أو تعديلها أو تغيرها.

ان المقصود بتصنيف القيم الإسلامية هي تلك العملية التي يتم بها توزيع القيم في مجالات عدة، ولقد صنف المتخصصون في التربية من المسلمين القيم الإسلامية إلى تصنيفات عدة منها:

أولا: تصنيف الهاشمي وعبد السلام (١٩٧٨)[٥١] صنف الهاشمي وعبد السلام القيم الإسلامية بحسب نظرة الشارع عز وجل إلى ثلاثة أقسام هي كأداة:

أ. القيم التي تنظم علاقة الإنسان بالله عز وجل.

ب. القيم التي تنظم علاقة الإنسان مع نفسه.

ج. القيم التي تنظم علاقة الإنسان مع غيره من الناس.

ثانيا: تصنيف حسان محمد حسان و آخرون (١٩٨٥)[٥٢] فقد صنفوا القيم إلى أربعة أقسام هي: قيمة العلم: وهي كقيمة تدفع إلى التعلم فيكون قيمة عالم والعالم يعلم غيره وهكذا، وتنتج عن هذا ان عرف المسلمون نوعين من العلم، علوم شرعية وأخرى تتعلق بالحياة المعاشية.

---

(٥١) الهاشمي، عبد الحميد، عبد السلام، فاروق، البناء القيمي للشخصية كما ورد في القران الكريم، ١٩٧١، بحوث ندوة خبراء التربية الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، (جدة، ١٩٧٨).

(٥٢) حسان، محمد حسان، واخرون، دراسات في فلسفة التربية، مصدر سابق.

أ. **قيمة العمل:** جاءت قيمة العمل في مقدمة القيم ولم تكن مكانتها اقل من قيمة العلم وانما هي مرتبطة به ذلك لانك لو دققت النظر لوجدت ان كل علم يتعلمه المسلم يصبح مجردا إذا لم يتحول إلى عمل.

ب. **قيمة التقوى:** وهي في النص القرآني ترتكز على دعامات ثلاثة، الأيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقهم.

ج. **قيمة العدل:** وهي نقيض الجور والظلم والآيات كثيرة على مستوى الفرد والجماعة والحاكم.

ثالثا: تصنيف أبو العينين (١٩٨٨)[٥٣] صنف أبو العنين القيم إلى:

١. قيم روحية وعقدية كحب الله والأيمان بالله والجهاد في سبيل الله.

٢. قيم خلقية كالعدل والأمانة والصدق واكرام الضيف والعدل والتعاون.

٣. قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها كاستخدام التجربة والتفكير الناقد.

٤. قيم وجدانية وانفعالية كالحب والكره وضبط النفس عند الغضب.

٥. قيم اجتماعية مثل بر الوالدين والتكافل الاجتماعي والإحسان للجيران.

٦. قيم مادية تتصل بالعناصر المادية كالاعتناء بالجسم والاقتصاد في الإنفاق.

٧. قيم جمالية تتصل بالتذوق الجمالي وإدراك الاتساق في الأشياء والاعتناء بالمظهر والنظافة والنظام.

(٥٣) أبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربوية، ط١، مكتبة إبراهيم حلبي، (المدينة المنورة، ١٩٨٨).

رابعا: تصنيف أبو بكره (١٩٩٣)[٥٤] صنف أبو بكره القيم الإسلامية إلى مجالين هما:

١. القيم الآمرة وهي القيم التي أمر بها الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم.
٢. القيم الناهية وهي القيم التي نهى عنها الله تعالى ورسوله.

خامسا: تصنيف المغربي (١٩٩٤)[٥٥] صنف المغربي القيم إلى نوعين هما:

١. القيم الأساسية ومصدرها الرسالات السماوية وهي قيم لا تتغير.
٢. القيم الثانوية وهي قيم من صنع الإنسان يمكن تحويلها أو تغييرها.

سادسا: تصنيف القيسي (١٩٩٥)[٥٦] صنف القيسي القيم الإسلامية إلى:

١. قيم التوحيد
٢. قيم العلم.
٣. قيم الدعوة.
٤. قيم الأسرة.
٥. قيم القضاء.
٦. القيم الاجتماعية.
٧. القيم الاقتصادية.
٨. القيم السياسية
٩. القيم الجهادية.
١٠. القيم الجماعية.
١١. قيم البيئية.

---

(٥٤) أبو بكرة، عصام سليمان، العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، (اربد، ١٩٩٣).

(٥٥) المغربي، كامل محمد، سلوك الفرد والجماعة في التنظيم: مفاهيم واسس السلوك التنظيمي، ط٢، دار الفكر، (عمان، ١٩٩٤).

(٥٦) القيسي، مروان، مجموعة القيم في الإسلام، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، (اربد، ١٩٩٥).

الفصل الرابع

طرق تعليم القيم للتلاميذ في التربية الإسلامية

على الرغم من اختلاف وجهات النظر من حيث تحديد القيم الواجب تعليمها وتحديد الجهة المسؤولة عن هذا التعليم، فان هناك اتفاقا هاما حول أهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه التربية عموما في مجال غرس القيم، وقد اتخذ الباحثون اتجاهات وطرق مختلفة اتبعوها في تعليم القيم والسلوك الأخلاقي، وذلك نتيجة اختلاف في الأصول التربوية والأسس الفلسفية للتربية التي يؤمنون بها. وسيحاول الباحثان في هذا الفصل توضيح بعض أهم الطرق ووصفها، تحليلها، تقويمها، لمعرفة مدى صلاحيتها في غرس القيم الإسلامية. وهذه الطرق هي:

أولا: الطريقة التلقينية

يرى أصحاب هذا الاتجاه في غرس القيم ان هناك مجموعة من القيم والمعايير الأخلاقية المعينة والنابعة من المجتمع وتراثه وثقافية لابد من غرسها في نفوس النشئ الجديد وتلقينهم إياها على نحو مباشر كموضوعات تعليمية وهذا ما يراه "فينكس"، إذ يرى ان المواد التعليمية المختلفة لا تعدو ان تكون وسائل لتحقيق هذه القيم وللتمكن من تمثلها[٥٧].

(٥٧) فينيكس، فيليب، فلسفة التربية، ترجمة وتقديم محمد لبيب، دار النهضة، ١٩٥٦، ص٤٤٣.

وتختلف التربية الإسلامية عن غيرها من التربيات من حيث قيمها، فقيم التربية الإسلامية ربانية المصدر ولذا نجد هذه الطريقة وقد أشار إليها القران الكريم قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[٥٨].

ان المربي المسلم الذي يلتزم بالتوصيات القرآنية التي ذكرت في هذه الآية الكريمة فانه يجتهد لإستخدام هذه الطريقة في الظروف المناسبة[٥٩].

ان مجموعة القيم التعبدية مثلاً كالإيمان بالله والأيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل والقضاء خيره وشره لا يمكن غرسها في نفس الطفل بداية الا من خلال التلقين المباشر، ومن هنا نجد المربي المسلم يعرض ويشرح المبادئ والمقاييس الخلقية للتلاميذ، إذ ان معرفة المبادئ والمقاييس الخلقية تعتبر خطوة نحو التطبيق لأنها تزيد من حساسية التلاميذ نحو العمل بها، خاصة إذا قدم المربي إليهم بما يستثير اهتمامهم وشوقهم ففي النفس الإنسانية استعداد مؤقت بما يليق إليهم من كلام بطريقة الوعظ ولذلك يلزمه التكرار. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان تثير كوامنه لحظة من الوقت لذلك لا تكفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة[٦٠]، وعلى راس ما يستثير اهتمام التلاميذ ويلفت أنظارهم، تحليل وتوضيح هذه المبادئ

(٥٨) سورة لقمان، الآية: ٣١.

(٥٩) عبد الله، عبد الرحمن صالح، المرجع في تدريس الشريعة الإسلامية، ج٢، مؤسسة الوارق (عمان، ١٩٧٧)

(٦٠) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشرق (بيروت، ١٩٨٢)، ص٢٣.

والمقاييس ودعمها بالحجة والمنطق وإدراك الحكمة منها ويمكن ان يحدث ذلك من خلال الآتي:

١. تحليل المقياس الخلقي بذكر النصوص المتظمنة له ومعرفة ما فيها من حكم.

٢. دعم المقياس بالحجج الواردة في القران والسنة.

٣. مشاهدة أفلام ومسرحيات مختارة وتناقش من قبل التلاميذ للتعرف على آراء بعضهم ومن ثم تكوين الاتجاه الخلقي المرغوب فيه.

٤. دعم المقياس بحجج من اجتهاد التلاميذ(٦١).

ثانيا: طريقة القدوة الحسنة

القدوة الحسنة من أهم الطرائق في تعليم القيم الإسلامية وتعلمها، فهي طريقة تربوية أشار إليها القران الكريم في آياته، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(٦٢).

وقد تمثلت بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كل الصفات والفضائل الخلقية والطاقات الروحية والحيوية الخلاقة التي جعلت منه فعلا اكبر قدوة للناس جميعا ما دامت السماوات والأرض، قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(٦٣). ونتيجة لاثر القدوة الفعال في عملية التربية، خاصة في مجال القيم كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قدوة حسنة للمسلمين.

---

(٦١) المصدر نفسه، ص٢٣٢.

(٦٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٦٣) سورة القلم، الآية: ٤

لقد حذرت التربية الإسلامية من مخالطة قرناء السوء لما للقدوة الحسنة من تأثير ناجح في إكساب واكتساب القيم، فقد دعا علماء التربية الإسلامية إلى حسن اختيار الأصدقاء والبعد عمن كثر لعبه وعبثه وقل تفكيره وتدبيره، ويقول ابن خلدون (والاحتكاك بالصالحين ومحاكاتهم يكسب الإنسان العاداة الحسنة والطبائع المرغوبة، والسبب في ذلك ان الشر ياخذ من معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء، وطورا محاكاة وتلقينا بالمباشرة، الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاما وأقوى رسوخا)[٦٤]، من اجل ذلك وجب على المعلمين في المدارس وفي المؤسسات التربوية ان يحرصوا كل الحرص على يكونوا قدوة حسنة في العلاقة مع الله ومع الناس، قدوة في صدق الكلمة وأمانة الرأي وجسن العشرة، واداء الفرائض والبعد عن الرذائل حتى يحققوا بذلك المعنى الحقيقي للقدوة الحسنة ويكون تأثيرهم إيجابيا، فعالا في نفوس من يقتدون بهم[٦٥].

ثالثا: طريقة القصة

وهي من اكثر الوسائل في غرس القيم لكونها مزيجا من الحوار والأحداث والترتيب الزمني مع وصف للأمكنة والأشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة[٦٦].

(٦٤) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٠٨١)، ص١٠٤٤.

(٦٥) عبد الله، عبد الرحمن صالح، المرجع في تدريس الشريعة، مصدر سابق، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٦٦) أبو العينين، علي خليل، مصدر سابق، ص١٤٧.

وللقصة تأثير كبير في تنمية وتعميق القيم الإسلامية وتأسيسها في نفوس النشئ الجديد، لان لها وظيفة تربوية لا تحققها أي طريقة أخرى، وذلك لما لها من تأثير نفسي وتربوي في المتعلمين، إذ تشتد النفس البشرية، وتوقظ انتباهها وتتعامل معها في واقعيتها الكاملة وتثير حرارة العاطفة فيها وتوجد الإقناع الفكري بموضوع القيمة، مما يجعل الفرد يتقمص بعض شخصياتها، ويحس بإحساسها ويستشعر انفعالاتها، ويرتبط نفسيا بالمواقف التي تواجهها فينعكس ذلك في سلوكه وتصرفاته لذلك ابرز القران الكريم أهمية القصص الإيجابية في تنمية القيم في مواضيع كثيرة، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ... (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[٦٧].

كما قص علينا القران القصص الكثيرة من قصص الأمم السابقة والأنبياء والمرسلين وسميت سورة كاملة فيه باسم (القصص) لما لذلك من دور تربوي واخلاقي فاعل ومؤثر في ترسيخ القيم الإسلامية، قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)[٦٨].

وقد كتب عمر بن عتبة إلى معلم ولده يقول: (ليكن أول إصلاحك لنفسك، فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت والقبح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه)[٦٩].

---

(٦٧) سورة يوسف، الآية:٢-٣.

(٦٨) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٦٩) عبد الله، عبد الرحمن صالح، مصدر سابق، ص٢١٠.

فحسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل ان يقول المعلم لغيره: افعل كذا، ولا تفعل كذا، فان حمل المعلم الطفل على مثل سامي، لابد ان يكون هو المجسم له بأعماله وسلوكه ومظهره وكل ما تلاحظ العين وتسمعه الأذن(٧٠).

ولذا فقد كانت القصة القرآنية من وسائل غرس القيم وذلك من خلال استخراج العبرة من التجربة السابقة واستخراج المثل وشرح طرق الخير والتحذير من الكفر والجحود.

لقد كانت القصص القرآنية تمثل ثلث القران الكريم فهو اكبر دليل على أهمية القصة في مجال غرس القيم بأنواعها: كالثبات على العقيدة، والاستمساك بها، وعدم التنازل عن مبادئها والرسول (صلى الله عليه وسلم) سار على خطى القران ووضف القصة من اجل نشر الوعي الإسلامي وتعميق قيم الإسلام في نفوس أبنائه.

لقد أحس المسلمون بأهمية القصة في غرس القيم واستخدمتها المهات والصحابيات واخذ القصاصون يجلسون في المساجد يقصون أخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسيرته. ولذا فالقصة تلعب دورا بارزا في غرس القيم الإسلامية في مرحلة الطفولة مما يستدعي اهتماما جيدا بهذا اللون من الطرائق وتضمينه القيم الإسلامية الصحيحة وتوجهها التوجيه السليم الإسلامي الهدف والنزعة والأسلوب(٧١).

(٧٠) الغزالي، ابو حامد، خلق المسلم، ط٢، دار القلم، دمشق، بيروت، بيروت، ١٩٨٠، ص١٥.

(٧١) أبو العينين، علي خليل، مصدر سابق، ص ١٥١.

رابعا: التطبيق العملي والتربية بالوقائع

ينبغي على المدرسة ان تتيح فرص حقيقية للتلاميذ يستطيعون من خلالها ممارسة المبادئ الإسلامية. وتقوم هذه الحقيقة على أساس ان الفرد الذي يطبق مبدا أخلاقيا معينا يزداد فهما وإعجابا به، ثم ان الممارسة الفعلية تطيل من أثار التعليم وتجعله اكثر مقاومة للنسيان. فالنشاط الروحي المتمثل في أداء صلاة الجماعة، وفي تشجيع المعلمين لمن يصوم من التلاميذ تطوعا وإقامة حفل إفطار لهم، وتنظيم مسابقات حفظ القران الكريم وتجويده له اكبر الأثر في تهذيب النفوس.

كما ان التلاميذ يمثلون النظام والانضباط واطاعة القواعد والصدق والتعاون والإيثار عبر النشاطات المدرسية اليومية المختلفة كالالتزام بمواعيد الدروس والجلوس في المكان المحدد وعدم الحديث الا بعد الاستئذان.

ولقد استخدم الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الوقائع والأحداث الجارية ليعلم الناس القيم وهو هنا يطبق أسلوب القران الكريم فيما يسمى بأسباب النزول فكان الرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يغتنم سلوكا خطأ، وهي طريقة فعالة لأنها ترتبط بالوقائع والمشاهدة وتصل بما يعيشه الناس، ولذا ترسخ في الأذهان وتثبت في القلب والحديث الشريف ملئ بالأمثلة على ذلك.

فالمربي المسلم الفطن هو الذي يقتدى بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ويستثمر الوقائع والأحداث لغرس القيم في نفوس الأبناء.

خامسا: المناهج الدراسية الأخرى

يمكن للتربية تحقيق أهدافها بغرس القيم الإسلامية من خلال المناهج الدراسية المختلفة من مفردات التربية الإسلامية، القران الكريم والحديث والعلوم المتفرعة عنهما. كما ان العلوم الإنسانية والطبيعية يمكن ان تنمي في نفوس الناشئين العادات العقلية السليمة التي تقود إلى الحقيقة. فهذا الأمر في الغالب يؤدي إلى سلوك أخلاقي. فدرس الرياضيات يقود إلى الدقة والاتقان ودرس الخط يقود إلى الرسم الجميل المفهوم المراعي فيه قواعد الكتابة الصالحة، ودرس التاريخ يقود إلى استخلاص العبر من سيرة الأولين.

سادسا: الطرق ذات الأساس النفسي

ان القاعدة الجوهرية هي أحداث جو من التأثير العميق في نفس الطفل، فلا تتحرك النفس ولا تستلين للخلق الجميل الا إذا تأثرت وأدركت عن طريق المشاعر ما قد تكون متحفزة لادراكه من أول وهلة عن طريق الفكر والعقل وبواسطة التلقين المجرد. فالأصل ان ينفذ المعنى الأخلاقي إلى النفس نفوذا يمكن معه ان يتغلغل فيها تغلغلا ويمازجها ممازجة حتى يصير فيها وكأنه منها[٧٢].

ولا يكفي ان نقدم أنماط من السلوك المقبول أو ان نعلم الفرد كيف يسلك بتدريبه على طاعة القانون الأخلاقي بل يجب العمل على تنمية الشخصيات

(٧٢) الاشقر، جمال نايف، درجة تمثيل طلبة الصف الثالث الثانوي الاكاديمي في المدارس الحكومية في كل من العراق والاردن، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٥.

الأخلاقية التي تقدر الخير والحق والتي يتجدد سلوكها في أساسه من الداخل ويتحقق ذلك عندما تكون دوافع الفرد الواقعية متفقة مع المثل العليا الشعورية الظاهرية[٧٣]. وللمربي دور كبير في إيقاظ وابراز إمكانيات كل طفل، وخلق هذا التلميذ يمكن تنظيمه من الناحية الخلقية حول صفة الشجاعة التي تظهر دائما في أعماله وافعاله. ولا يعني ذلك تنمية إحدى هذه الصفات دون غيرها فكلها ضرورية ولكن المقصود هو اتخاذ إحدى هذه الصفات أساسا لتوجيه طاقة التلميذ وميوله التلقائية توجيها سليما.

كما ان الثواب والعقاب والترغيب والترهيب كلها لها دور هام في غرس القيم الرغوب فيها. فالثواب دافع للسلوك الطيب المنبعث من قيم سليمة والعقاب زاجر للسلوك المشين النابع من قيم غير سليمة، ورب العباد اعلم بأحوال العباد ونفوسهم ومدى تأثير الثواب والعقاب في توجهاتهم وسلوكهم، لذلك قرن في سورة الروم وغيرها من سور كتابه العزيز بين ثواب المؤمنين على إيمانهم وعقاب الكافرين على كفرهم في آيتين متجاورتين قال تعالى:(وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون)[٧٤]

وقوله تعالى: (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون)[٧٥].

ولقد تأثر الإمام الغزالي بأسلوب القران فدعا إلى تكريم الصبي متى ظهر منه خلق كريم والتدرج في عقابه ان ظهر سلوكا سيئا ويظهر ذلك في قوله:

(٧٣) فينكس، فيليب، مصدر سابق، ص٤٤٣.

(٧٤) سورة الروم: الآية:١٦.

(٧٥) سورة الروم، الآية: ١٥.

"ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل، وفعل محمود، فينبغي ان يكرم عليه، ويجازي بما يفرح به، ويمدح بين اظهر الناس، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره إلى آخر قوله... ويقال له إياك ان تعود بعد ذلك إلى مثل هذا"(٧٦).

سابعا: طريقة السؤال والحوار

وهي من طرائق التدريس العامة الا ان استخدامها في مجال تنمية القيم يعتبر فعالا، وهذا ما تدل عليه النصوص القرآنية والنبوية. وكان المسلمون يسألون الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويستفتونه فيما يواجههم من شؤون الدين والدنيا، وكان القران يجيب على تلك الأسئلة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب المسلمين على ما يعن لهم من الأسئلة، معطيا كل سؤال حقه من الإجابة، ايجازا أو تفصيلا تبعا لمقتضيات الحال، والإجابة دائما لما فيه كافية، بحيث لا يترك النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) السائل وفي نفسه إثارة من حرج أو جهل.

ويلاحظ ان السؤال تارة يأتي من المسلمين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وتارة يسال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مستثيرا الرغبة لمعرفة ما لدى المسلمين، وان دل ذلك على شيء، فانما يدل على حرصه (صلى الله عليه وسلم) على تعليم المسلمين أمور دينهم وغرس القيم لديهم.

(٧٦) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، مطبعة الشعب، (القاهرة، د.ت)، ص٢١٠-٢١٢.

وسواء كان السؤال للاستفسار أو التقدير أو للانكار أو التوبيخ أو للأمر أو للتنبيه أو للتحقيق وغير ذلك من أغراض السؤال فانه يعد أهم وسائل غرس القيم وتنميتها(٧٧).

ثامنا: الطريقة المعرفية

ان هذه الطريقة لا تفصل بين الناحية الفكرية والناحية الخلقية، لذلك فهي تحث الأفراد على التفكير في القضايا الخلقية التي يناقش فيها بشرط ان تكون درجة التفكير ومقداره مناسبين للمرحلة الخلقية التي يمر بها الأفراد، وفيها ينظم المعلم المواقف التعليمية كحلقات المناقشة وعرض أفلام ومسرحيات وغيرها من الأنشطة اللاصفية بحيث يشجع التلاميذ ويحثهم على التفكير في قضايا خلقية معينة، ومناقشتها لان المناقشة المستمرة للمسائل الخلقية خصوصا المختلف عليها تقوي التفكير وتعين على النمو الخلقي(٧٨).

ان مستخدمي هذه الطريقة لم يهتموا بالنموذج الذي يقتدي به الأفراد، ويكتفون بالتركيز على الجانب الفكري من الأخلاق والذي يعين حسب ظنهم على اختيار القيم الخلقية الملائمة، كما انهم جعلوا القيم بشرية المصدر على الرغم من اعتقاد بعض مؤيديها وثباتها(٧٩).

ان استخدام هذه الطريقة خاص في المجتمعات الغربية التي فصلت الدين عن الدولة بعد ان أصابها تفكك واضح في مؤسساتها الاجتماعية،

(٧٧) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ص٢١٠-٢١٢.

(٧٨) شواني، عبد الحميد، علم النفس التربوي، دار الفرقان، (الأردن، ١٩٨٤)، ص٤٩١-٤٩٣.

(٧٩) المصدر السابق نفسه، ص٤٩١.

ولذا فانها لا تصلح ولا تؤتي ثمارها في المجتمع المسلم المترابط في ظل عقيدته القوية الصحيحة والتي منها تنبثق القيم الثابتة التي تهدي للتي هي أقوم(٨٠).

وإمكاناته على ما تقدم فان واجب التربية الإسلامية من غرس القيم للنشئ الجديد يتحدد بالآتي:

١. ضرورة الاهتمام بغرس القيم الإسلامية في نفوس النشئ الجديد منذ مرحلة الطفولة.
٢. العمل على اتباع حاجات الطفل البيولوجية وذلك من خلال اتباع الطرق التربوية السليمة لان عدم إشباع تلك الحاجات فانه سيعيق عملية غرس القيم المرغوبة ويعرقل استعداد الطفل لتعلم القيم.
٣. ينبغي اتباع اكثر من طريقة أو أسلوب في تعليم الأطفال القيم وعدم الاكتفاء باستخدام طريقة واحدة آخذين بنظر الاعتبار طبيعة الطفل النفسية وطبيعة الموقف الذي يمر به.
٤. اتباع والتزام المنظومة القيمية التي اقرها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح والعمل على ترسيخها في نفوس النشئ الجديد.
٥. توفير الفرص والمواقف التعليمية المناسبة للتلاميذ كي يفكروا ويناقشوا فيما بينهم مفهوم القيم وما تدعوا إليه في داخل الصف وفي المدرسة وفي الأسرة والمجتمع.
٦. ان يقتصر دور المعلم المسلم في الخطاب التربوي على تحفيز التلاميذ في كيفية استخدام المهارات العقلية العليا في أمور تتصل بالقيم وتشجيعهم على إدارة

(٨٠) المصدر السابق نفسه، ص٤٩٠.

الحوار والمناقشة بطريقة ديمقراطية ومساعدتهم على الربط بين الاختيارات التي يقومون بها والقيم التي تكمن وراء هذه الاختيارات والنتائج التي تترتب على كل اختيار.

٧. ان تعليم القيم في مؤسساتنا التربوية يحتاج إلى ان لا يكون هنالك تناقض بين مؤسسات التربوية ومؤسسات المجتمع الأخرى في الالتزام بالقيم فقيمة العدل مثلا لا يمكن ان تعلم في مجتمع تنتشر في مؤسساته مظاهر الفساد الاجتماعي والاقتصادي.

٨. ضرورة تظمين ودعم القيم التربوية ضمن المنظومة القيمية التي يراد غرسها في نفوس النشئ الجديد بالآيات القرآنية الحكيمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تنمي الجانب الإنساني والاجتماعي والأخطر والوطني في نفوسهم.

٩. التأكيد على دور المعلم في تلمس المنهج الإسلامي الشامل المتكامل المتوازن، وذلك من خلال ترجمة العلم الذي يلقنه للجيل الجديد إلى قيم الأيمان والأمانة والصدق والتعاون والتركيز على القيم الإيمانية والخلقية والممارسة لهذه القيم في أثناء التربية والتعليم.

أهم نتائج البحث

ان موضوع القيم وعلاقته بالتربية من الموضوعات المهمة التي اهتم بها الفلاسفة، وحظي بعناية كبيرة من قبل الباحثين قديما وحديثا.

ومن الجدير بالذكر ان المفكرين والفلاسفة في الإسلام اهتموا كثيرا بدراسة القيم وبذلوا جهودا جبارة في هذا المجال من الإمام البيهقي وابن مسكوبة والإمام الغزالي.. وقد سبقهم في ذلك الإمام البخاري الذي افرد بابا في صحيحة باسم كتاب (الدعوات) و (الآداب) ولا غرابة في ذلك لان القيم الإسلامية هي جوهر العملية التربوية لأنها تهتم بالإضافة من جميع جوانبه.

وان لدراسة القيم دراسة منهجية منظمة بعدا تربويا من حيث ترجمة المضامين إلى مناهج وأساليب ووسائل تمكن المجتمع الإسلامي من تحقيق أهدافه وغاياته المنشودة في بناء مجتمع مؤمن بالعدالة والمساواة وحقوق الإنسان.

وقد جاءت هذه الدراسة لإلقاء المزيد من الإيضاح على مفهوم القيم وأهميتها في الفكر الإسلامي وأثرها على حياة الإنسان المعاصر الذي يعيش أجواء من التناقض والتخبط في ما يتعلق بحقوق الإنسان وقيمته التي ضاعت بين التيارات الفكرية المختلفة التي تنادي وبكل صراحة بالخروج والتمرد على هذه القيم. ومن المهمة التي ينبغي القيام بها لعلاج هذه المشكلة: هي تصحيح القيم والمناهج الخلقية التي اكتسبها الأفراد خلال المراحل السابقة من مصادرها غير الحقيقية.. والعودة إلى المنظومة القيمية التي أسستها المنظومة الإسلامية المتمثلة بالقران الكريم والسنة النبوية.

ومن أهم نتائج هذا البحث:

١. ان التمايز في التركيب الاجتماعي واختلاف المعتقدات الدينية والأيدلوجيات الاجتماعية والسياسية لكل أمة أدى إلى التمايز في القيم لدى المجتمعات المختلفة.
٢. ان المؤسسات التربوية والتعليمية وأساليب المساندة لهما في مقدمة الوسائل التي يمكن ان تستخدم في بناء وغرس القيم النبيلة في المجتمع.
٣. إذا غابت القيم الأخلاقية في أي مجتمع أو تضاربت فان الإنسان يغترب عن إرادته ومجتمعه، ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه، ويضطرب سلوكه.
٤. ان الدين هو مصدر القيم الروحية والخلقية، وهو الأساس في توجيه سلوك الإنسان، وفي التمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ.
٥. ان التربويين قديما وحديثا وضعوا طرق للإنسان لغرس القيم في نفوس الطلبة من أهمها – الطريقة التلقينية – وطريقة القدوة الحسنة وطريقة القصة وطريقة السؤال والجواب وغير ذلك.